

لبنان في العهد التركي



رشيد نخلة (١٨٧٣-١٩٣٩)، شاعر لبناني لُقّب بأمير الزجل.



أحمد جمال باشا، قائد الجيش الرابع التركي.

وقد تولى اهالي زهور الشوير، بدافع من النخوة والمروءة، نجدة هؤلاء الجنود وامدادهم بالاطعمة والملابس اللازمة. وادعى متصرف لبنان اوهانس باشا تمويها: "ان دخول تلك الشراذم من الجيش التركي لا يُعدّ من قبيل الاحتلال بل هو للاستكشاف العسكري". غير ان احمد جمال باشا، وهو الأمر الناهي، كان أكثر منه صراحة فقال: "لقد ارسلت مفرزة عسكرية من الجند للدفاع عن لبنان ضد غارات العدو الخارجي عند الحاجة، واني لأدعو اهل لبنان الى الانضواء تحت العلم الهمايوني، والى مشاركة هذه المفرزة في تضحية النفس والنفيس لإحباط اعمال العدو. ان كل من يحاول من اللبنانيين، كائنا من كان، الاخلال بسلامة المملكة والامن العام بأية حركة، وكل من يبدي اقل مظهر من مظاهر العطف والمحبة نحو اعدائنا الفرنسيين والانكليزي والروس، يُحاكم فوراً امام ديوان عرقي ليلقى جزاءه من العقاب".

في السادس من ايار من كل عام نتذكر شهداءنا الذين علقهم احمد جمال باشا، قائد الجيش الرابع التركي، على اعواد المشانق في مثل هذا اليوم من العام 1916، لا للذنب ارتكوبه، بل لأنهم حاولوا التحرر من النير التركي بما ملكت ايديهم من وسائل وارتباطات دولية. التحرر من تحكم الغير وسيطرته نزعة انسانية مترسخة في قلوب البشر، فلا يقيم على ضيم شعب يتحسس الحرية والكرامة. فكيف اذن بالشعب اللبناني الصبور الذي اقام على ظلم العثمانيين، واستبداد ولاتهم وقسوة انكشاريتهم، قرونا اربعة ذاق خلالها العذاب والاضطهاد اشكالا والوانا. دخلت تركيا الحرب الى جانب "الدول المركزية" في اول تشرين الثاني عام 1914، وفي 22 منه وصلت فرقة من الجيش العثماني الى الاراضي اللبنانية من جهات زحلة وعاليه وبكفيا وبحنس وبرمانا وبيت مري، ولم تبلغ هذه الاماكن الا بعد ان مات من جنودها العشرات دنقا بين زحلة وعينطورة،

غير ممكن"، فنُفذ حكم الاعدام بالضابطین. وقد علمنا أنه في بداية الحرب التي نحن في صددنا تألفت في زهور الشوير برئاسة فارس مشرق لجنة لتكريم رضا بك، وقد قدموا له سيفاً وساعة وخاتماً في اثناء حفلة التكريم التي أقيمت له. وطلب من الشعراء تقریظ هذه الهدايا الثمينة، ففاز الشاعر المرحوم نجيب مشرق الذي نظم هذه الابيات:

بِهَذَا السِّيفِ تَمَثِيلٌ بَلِغٌ
بِدُودِكَ يَا مَحَمَّدُ عَنِ بِلَادِكَ
وَهَذِي السَّاعَةَ الْبِقِطْطَى مَشَارُ
إِلَى اسْتِيقَاطِ عَيْنِكَ فِي جِهَادِكَ
أَجَلٌ وَيَخَاتَمٌ يَهْدِي بَيَانَ
لِمَا لَبْنَانٌ يَحْفَظُ مِنْ وِدَادِكَ

وكان وداد لبنان لرضا بك السبب في نقمة جمال باشا عليه، وفي الخلاف الذي نشب بين القائدين على الوجه الذي لا يزال يذكره المعاصرون لهذه الاحداث ورواياتها الصادقون.



-المنفيون اللبنانيون في القدس سنة ١٩١٥:

الصف الاول (الجلوس من اليمين الى اليسار): بولس نجيم، الامير فريد عبدالله شهاب، يوسف بك فريفر. الصف الثاني (الجلوس): حبيب بك البيطار، الشيخ الياس كسبار، خليل بك عقل، الامير فائق شهاب، مصطفى بك عماد، محمد بك زين الدين. الصف الثالث (الوقوف): الدكتور أنطوان العضم، كميل بك الشدياق، ابراهيم بك عقل، الشيخ بان الخازن، نقولا بك غصن، نعيم بك باخوس.

ويتضح من بقية ما ذكره رشيد بك نخله ان نتيجة المقابلة مع جمال باشا كانت نفي الجميع الى القدس. وأعطى رضا بك صلاحيات واسعة. وتعرّف الى بعض كبار اللبنانيين، فأخذوا يدعونه الى مواعيدهم ويقيمون له الحفلات، كما أنه أخذ يشاطرهم جانباً من حياتهم الاجتماعية. ويبدو أنه كان يفعل ذلك لغاية في نفس يعقوب، فهل كان يجول في خاطره ان يتقرب من اللبنانيين ليكسب ودهم ويحقق بذلك بعض احلامهم في غفلة من جمال باشا؟ وهذا الاخير كان يضم، بعد هزيمته في السويس، ان يستقل بلبنان وسوريا ويقيم نفسه ملكاً عليهما بالانفصال عن السلطنة العثمانية. ونعرف عن رضا بك انه رأس جمعية الهلال الاحمر وحضر شق الشهداء، وانه حاول في 6 ايار انقاذ الضابطين سليم الجزائري وامين لطفي من الشنق بأن اتصل هاتفياً من سرايا البرج بالقيادة التركية لهذه الغاية، فكان جوابها: "اولماز، اولماز"، اي "هذا

اخواني، قبل الاجتماع، على ان اتولّى الجواب على كلام محمد رضا بك بين المرونة والصراحة، فقلت لرضا بك ما مؤداه: "اما الاخلاص للدولة فهو امثولة تعلمها اللبنانيون من قديم الزمن، وليس في لبنان من لا يحفظ للدولة اياها على البروتوكول. واما التطوع والوقوف في وجه المعتدين على امتياز الاراضي اللبنانية فليس في لبنان رجل يتأخر عن ذلك، اذ ان اللبنانيين معروفون بحبهم لوطنهم، مشهورون بتمسكهم بامتيازهم. لكن السلاح في هذه الايام يعوزهم، فاذا شاءت الدولة ان تختبر اخلاصهم لها فليس اهون عندها من ان يدهمهم بالسلاح. فتحرّك الرجل عن كرسيه وقطب ما بين عينيه ولبث لا يعرف كيف يجيب، فساد السكون الجلسة فينة غير قصيرة، ولكن بعضهم وقف في بهرة الحلقة وقال: "نحن يا سيدنا عندنا سلاح، ونحن مستعدون لكل طارئ". وما قال ذلك حتى جاوبته من فوري: "عجبا لك، فاني لا اعرف في البلاد من يستطيع ان يتحمّل تبعه ما تقول الآن في مسألة السلاح، فضلا عن ان بنادق صيد العصافير، وهي التي في البلاد، ليست مما يدور عليه كلامنا وكلام رضا بك". وكان الاخ الوفي الميرالاي ملحم بك حمادة، والد السفير السابق محمد علي، والذي ولي قيادة الدرك اللبناني مكان الميرالاي سعيد البستاني، يترجم كلامي لرضا بك وكأنه يحيط الترجمة بين اشارات اليد، وامارات الوجه، بشيء من مظاهر الاقتناع، ثم اقبل علي في آخر الجلسة وهو يتضحك وقال لي في همس: "يا أخي دعنا نقلدهم جميلاً ولا تفضحنا". وما رُفعت تلك الجلسة التي لم تسفر عن شيء ذي بال الا وقد استدعاني المتصرف وبلغني ان جمال باشا في حاجة الى مكالمتي في اشياء تتعلق بلبنان، وانه يستقبلني في اليوم التالي في دمشق على رحب وسعة. فلما عدت الى اخواني علمت ان الذين سيستقبلهم جمال باشا كثيرون، منهم سليل البيت اللبناني العريق الامير فايق شهاب رئيس القلم الاجنبي، والصدوق النبيل مصطفى بك عماد رئيس دائرة الجزاء، وغيرهما من الرجال".